

من المستهدف من إعادة روسيا التفكير في 'مستقبلها الأمني'؟!

27-7-2002

وبالنسبة لروسيا، فإن الصين تشكل تهديدا واضحا من خلال : المنافسة على قوة الأرض الآسيوية، النمو السكاني، وتثبيت حضور عريض على امتداد واسع في أقصى الشرق الروسي، حيث تزخر هذه المناطق بالطاقات والمصادر الطبيعية الأخرى. وواضح أن موسكو ليس بمقدورها حماية هذه الحدود عبر الوسائل العسكرية لإيقاف الزحف والنزوح من الصين. لهذا فهي بأمس الحاجة الآن إلى طرف يضبط ويكبح الصين لفترة يمكن فيها لموسكو أن تسترجع قوتها الإقليمية ولم لا العالمية!. وأن تصطف روسيا مع قوة أخرى (كاليابان وكوريا الشمالية) لاحتواء الصين فهذا يطرح مشكلة أخرى، إذ قد تثير -هذه الخطوة- خصومة كامنة بين البلدين، وتدفع الصين لتحويل اهتمامها لمعاكسة روسيا. وبدلا من هذا، فإن روسيا يمكنها تفادي إنذار بكين لأهدافها، بإبقاء الصين في

بدو أن روسيا عاكفة حاليا على إعادة النظر في مستقبلها الأمني ليتماشى مع حالة الإحكام التي تتسم بها علاقاتها الاقتصادية والسياسية مع أوروبا والولايات المتحدة. وتشدد موسكو في الآونة الأخيرة أن التهديدات الأمنية ما عادت تزحف من الغرب، بل من الجنوب والشرق، على امتداد الخط الرابط بين القوقاز وآسيا الوسطى، ويمتد إلى الصين. في لقاء نادر وملفت جمع سفراء روسيا، قدم الرئيس بوتين عرضا "واقيا" حول طبيعة العلاقات الوثيقة بين موسكو والولايات المتحدة وأوروبا، معتبرا الشراكة بين موسكو وواشنطن على رأس أولويات روسيا، داعيا إلى إنشاء "فضاء اقتصادي مشترك" يضم أوروبا وروسيا. واستنادا لوكالة "أنترفاكس"، فإن رسالة الرئيس جاءت لتعزيز "مناعة" أرضية السياسة الخارجية التي تحدد مستقبل العلاقات الروسية إقتصاديا وسياسيا في العشرة القادمة - على أقل تقدير- والمرتبطة بشكل حاسم بأوروبا وأمريكا. قاعدة الإرتباط السياسي والإقتصادي، تشمل أيضا الجانب الأمني، وهو ما يظهر بوضوح في الاتفاق الجديد مع حلف الناتو، وكذا تعاون موسكو مع واشنطن في آسيا الوسطى، والرؤية المشتركة لما سمي بـ "التهديد الإسلامي العسكري"، وهو ما أكدته وزير الخارجية الروسي في حوار مع إحدى اليوميات الروسية من أسبوعين، حيث صرح قائلا: " إن موسكو ترى في أفغانستان الخطر الحقيقي، وتهديده أكبر من الكارثة النووية الشاملة أو أي عدوان من الولايات المتحدة وحلف الناتو". ومن الواضح أن روسيا واعية بـ "الخطر الصيني" المتنامي، وإن كانت تؤثر التورية عند التعرض للأخطار المحدقة بروسيا!. ولأن قدرة روسيا في الدفاع عن امتدادها الشرقي بالوسائل التقليدية محدودة، فإنها تحاول تعويض هذا النقص، باستعدادها لاستعمال ورقة الطموح البحري الصيني، وقلق واشنطن في المحيط الهادي، لإشغال الصين من الجهتين الغربية والجنوبية، وصرفها عن التركيز على الشمال أين تقع روسيا!. وفيما بدا وكأنه خلط للعلاقات الروسية الصينية غداة سقوط الاتحاد السوفييتي، ترددت موسكو بين البحث عن الدعم من الغرب وبناء شراكة استراتيجية مع بكين لمعاكسة قوة واشنطن "التي لا تُتحدى".! وحتى الصين لم تتجاوب مع طرح الشراكة بصفة كلية، محتفظة بيد مع الغرب بغرض الاستثمار والتجارة الخارجية، غير أن الصين طورت اقتصادها بشكل سريع في السنوات الأخيرة ومغاير تماما لروسيا التي انحدرت بسرعة!

واستمر التفاوض بين الصين وروسيا، إلا أن بكين كانت تنظر لنفسها على أنها الشريك الأقوى في أي علاقات، وهو ما أثار حفيظة موسكو، وضاعف من قلقها إزاء مستقبل الخطر الحقيقي الذي تشكله الصين، بالنظر إلى أن ثروات روسيا الغنية يقابلها شعب فقير على امتداد الحدود الشرقية!. ومع تولية الرئيس بوتين، بدأت روسيا في إعادة التفكير والنظر في موقفها الاستراتيجي الشامل، ورسم الرئيس من جديد صورة مستقبل روسيا باعتبارها صديقا حميما للغرب، وقد عززت أحداث 11 سبتمبر هذا المسعى، وضمنت فرصة ذهبية للرئيس بوتين وسمحت له بوضع خطته حيز التنفيذ، إذ التحقت روسيا بسرعة بحملة واشنطن ضد "الإرهاب"، مع توفير الدعم، المعلومات، والموقف "الاستراتيجي" و"المصلحي" تجاه حضور أمريكا في دول آسيا الوسطى! وانحصرت حسابات بوتين الاستراتيجية في إدماج الإقتصاد الروسي وإلحاقه بأوروبا، في الوقت الذي قدم رعاية المصالح الأمريكية على المخاطر التي تواجه بلده، أو بالأحرى أخضع المخاطر للمصالح! وهكذا أمن أمن روسيا وفتح قناة للمساعدات الإقتصادية والاستثمارات. ورغم أن التجاوب مع المطالب المختلفة بعد "تنازلا" للغرب، فإن الرئيس بوتين وجد مخرجا لهذا في أنه يستطيع أن يتحكم في الردود الداخلية العنيفة المتوقعة، ما دام بإمكانه إظهار سلطته، وإثبات المغامرات الحقيقية لمبارته بالتوجه نحو المغرب! ومن جانب "الحرس القديم"، "صفور الاشتراكية" وكذا الجناح اليميني الروسي القومي، فإن أكثر المجموعات اضطرابا في علاقاتها مع مخطط الرئيس بوتين هي القيادة الصينية. لهذا تعامل بكين موسكو كشريك استراتيجي من الدرجة الثانية!.

وإذا كانت الصين في مركز الاهتمام الأمريكي قبل أحداث 11 سبتمبر- باعتبارها قوة اقتصادية صاعدة، ومنافس سياسي و عسكري أيضا لأمريكا في آسيا-، فإنها سرعان ما زحزحت من شاشة "رادار" واشنطن بعد الهجمات!، وثركت بكين تصارع الحصيلة الإجتماعية الداخلية لقوانين السوق الحرة!. ومع "تخندق" العالم مع أمريكا ضد "الإرهاب" - بصرف النظر عن خلفية هذا التخندق-، فإن الصين أصبحت - بمعارضتها لأهداف أمريكا المنشبوهة- أشبه بالصوت المعزول في فلاة! حسب بعض التحليلات، هذا في الوقت الذي منح فيه شريكها (روسيا) مفاتيح الإمبراطورية السوفييتية السابقة إلى واشنطن لحمل قواتها إلى آسيا الوسطى!!!

و لأن بكين كانت دائما حذرة ومتحطة من بوتين، ومغامرته الواضحة بالتخلص من الارتباطات السابقة وتعلقه بالغرب، مع الاعتراف الضمني لموسكو بـ "التهديد الصيني"، أكد هذا وذاك شكوك قادة الصين إزاء تولي مخبر في جهاز KGB منصب الرئاسة!. وبالنسبة لروسيا، فإن الصين تشكل تهديدا واضحا من خلال: المنافسة على قوة الأرض الآسيوية، النمو السكاني، وتثبيت حضور عريض على امتداد واسع في أقصى الشرق الروسي، حيث تزخر هذه المناطق بالطاقة والمصادر الطبيعية الأخرى. وواضح أن موسكو ليس بمقدورها حماية هذه الحدود عبر الوسائل العسكرية لإيقاف الزحف والنزوح من الصين. لهذا فهي بأمس الحاجة الآن إلى طرف يضبط ويكبح الصين لفترة يمكن فيها لموسكو أن تسترجع قوتها الإقليمية ولم لا العالمية!. وأن تصطف روسيا مع قوة أخرى (كاليابان وكوريا الشمالية) لاحتواء الصين فهذا يطرح مشكلة أخرى، إذ قد تثير- هذه الخطوة- خصومة كامنة بين البلدين، وتدفع الصين لتحويل اهتمامها لمعاكسة روسيا. وبدلا من هذا، فإن روسيا يمكنها تفادي إندثار بكين لأهدافها، بإبقاء الصين في حالة من اختلال التوازن، مع الحذر من برنامج بيع الأسلحة. ويبقى التساؤل مطروحا، هل بإمكان موسكو أن تبقى على وضع واشنطن في حلق بكين وكذا العكس، بينما تعيد روسيا بناء إقتصادها وترسانتها العسكرية بدعم من أوروبا؟؟؟